وسائل هيرودس لتوطيد حكمه
دراسة تحليلية

فوزية عبد الرحمن دسمان القرشي

محاضر بقسم التاريخ

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

مكة المكرمة

اعتبر الحشمونيون أنفسهم- أيامهم- الورثة الشرعيين لإسرائيل القديمة، واستمرت مملكتهم حتى مجيء الرومان، وانتهت في سنة ٦٣ق.م. اعتلى هيرودس حكم فلسطين من سنة ٣٧-٤ ق.م وذلك بترشيح من ماركوس أنطونيوس، ورضا من مجلس الشيوخ الروماني، وكانت سلطته مستمدة من الرومان[١]، وذلك للقضاء على سلطة المكابيين، وإقامة سلطة أخرى من الآدوميين.[٢]

يعد هيرودس الكبير الابن الثاني لانتيباتر، ذا الأصل الأدومي[٣]، كما كانت أمه أدومية.[٤]

وقد أطلق على بعض ممن حكم أرض فلسطين اسم هيرودس، أو ممن حكم جزءاً من المناطق القريبة منها، ذكر في العهد الجديد أربعة.[٥] سموا بذلك في أثناء حكم الرومان على فلسطين.[٦]

هذا، وعندما تولى هيرودس الحكم واجه مشكلة كبيرة وهي أن معظم الطبقة الغنية دعموا أنتيجونس بن أرستوبوليس الثاني، والذي كان خصماً لهركانوس الثاني، وهذا الأخير كان حليفاً لهيرودس.[٧]

---

(١) زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحيين، مكتبة المحبة، القاهرة، (د.ت)، ج٨، ص١٩١؛ كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز، ط٨، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص٤٨.

(٢) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٨) إسرائيل- الكتاب الثاني- التاريخ، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١١٤٠.

(٣) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فراج راشد: اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية: بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٣١؛ فتحية بنت حسين إبراهيم عقاب: "العلاقات السياسية بين الأنباط واليهود في فلسطين وموقف الدولة الرومانية منها"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية البنات (الأقسام الأدبية) بجدة، الإدارة العامة لكليات البنات بمنطقة جدة، وكالة الرئاسة لكليات البنات، الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٤٨.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ط١٤، دار مكتبة العائلة، ٢٠٠٥م، ص١٠٠٨.

(٥) هؤلاء الأربعة هم: هيرودس الكبير بن انتيباس، هيرودس انتيباس الابن الثاني لهيرودس الكبير، هيرودس أغريباس الأول حفيد هيرودس الكبير، هيرودس أغريباس الثاني بين أغريباس الأول، أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٠٨.

(٦) قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٠٨.

(7) Perter, R., Herod King of the Jews and Friend of the Romans, Fortress Press, 1999, P.210.

ويعد هيرودس الكبير مؤسس السلالة الهيرودسية، والذي أدار حكم فلسطين مدة ثلاثة وثلاثين سنة كتابع لروما، وهذه الفترة الطويلة في الحكم تدل على ولاء هيرودس لروما[١]، بالإضافة إلى ماسكه من نقود برونزية[٢]، وكانت أورشليم[٣] مقراً لحكمه والعاصمة الدينية والسياسية لليهود في وقت واحد.[٤]

إن هيرودس، لكي يتميز عن من تبعه وحمل نفس الاسم من الهيروديين الصغار فقد حمل لقب عظيم.[٥]

وكان هيرودس يدرك السبب الذي جعله مكروهاً بين رعاياه اليهود[٦] وهو أنه لم يكن من عائلة كهنوتية، بل إنه لم يكن حتى يهودياً حقيقياً[٧]، ففي إحدى الأوقات جاءته فكرة أن يعتلي منصب الكهنوتية العليا، فاخترع له مؤرخه نيقولا الدمشقي نسباً واصلاً مما جعله عضواً لإحدى العائلات الكهنوتية التي عادت من المنفى البابلي، لكنه لم يتابع الفكرة، حيث كانت السياسة البديلة الوحيدة منذ لم يستطع أخذ الوظيفة لنفسه تعتمد على الأفضلية الملكية. ومن أجل هذه الأسباب كسر هيرودس المبدأ الوراثي وألغي أسلوب مدى الحياة لهذه الوظيفة، حيث تم تعيين الكهنة الكبار للمستقبل بواسطة الملك وتقلدوا الوظيفة خلال حكمه، وكان معروفاً ومتداولاً بين العامة أن هيرودس عبداً حشمونياً.[٨]

---

(١) عقاب، "العلاقات السياسية"، ص١٤٨.

(٢) ميرنا حسين مصطفى مصطفى: "النقود الهيرودية- دراسة نقدية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، آب ٢٠٠١م، ص٤٩.

(٣) عن أورشليم، تفصيلياً، أنظر: أحمد محمود صابون: "القدس- أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية"، التاريخ العربي، العدد السابع عشر، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، شتاء: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٧- ص٤٠.

(٤) طوني مفرج: موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق، ط٢، المجلد (٢)، نوبيليس، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٣-١٤.

(٥) أجمع علم المخطوطات وعلم العملات القديمة كلاهما على أن هيرودس لم يكن يلقب بـ "العظيم"، بل أجمع على لقب واحد كان يلقب به هيرودس وهو "الملك". أنظر: Peter, Herod, P.210.

(٦) عبد العليم، راشد، اليهود، ص٢٣١؛ William, D.M., The Jews Under Roman Rule, New York, Bibiobazaar, 1895, P.87.

(٧) منذ عام ١٢٥ق.م، تهود الأدوميين مرغمين على ذلك. أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٠٨.

(٨) زكي شنودة: اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعاتهم من واقع نصوص التوراة وكتابهم المقدس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٩١؛ عن الحشمويين،

ويمكن القول، أن هيرودس كان يهودياً، إلا أن يهوديته بسيطة وغير معقدة، وأهم ما لديه هو الحفاظ على عقيدة بني إسرائيل، إلى جانب دعم عبادة الإمبراطور.[١]

سياسة هيرودس في تثبيت حكمه:

أولاً: قتل هركانوس:

بعد أن اجتاح بارزافارنيس Barzapharnes، الملك البارثي، فلسطين أخذ معه هركانوس أسيراً، لكنه أُعتق بناءاً على طلب أبناء بلده فيما وراء الفرات[٢]، حيث عاش هناك مع اليهود في وضع جيد، لذلك خشي هيرودس عودة العرش إليه فدير مؤامرة لقتله، إذ بعث إلى الملك البارثي بهدية طالباً منه أن يسمح لهركانوس بالرجوع إلى أورشليم، وإن أبى تنفيذ طلبه فإنه سيعلن الحرب عليه بمساعدة الرومان.

استجاب الملك البارثي لطلبه، غير أنه بذل النصيحة لـ هركانوس وحذره من هيرودس[٣]، لكن عاد هركانوس العجوز، الذي قطعت شحمة أذنه على يد أنتيجونس من بابل، غير أنه لم يستطع مزاولة عمل رئاسة المجلس مرة أخرى، حيث لم تعد له القدرة والكفاءة على تحمل مسئولياته السابقة، فقد بلغ من الكبر عتياً[٤]، هذا في الوقت الذي أصبح فيه المجلس الأعلى للجد الأعظم ككرة

تفصيلياً، أنظر: زئيف سفراني: "تاريخ إسرائيل منذ تمرد الحشمونيين حتى تمرد بروكوخيا"، تاريخ إسرائيل في فترة المعبد الثاني، أوريل، رفورط، سفاريم علي حاي، تل أبيب، ١٩٨٤م، ص٢٥١- ص٢٧٤؛ يهود الحشمومية في العالم اللهللنيستي، مركز زلمان شرز، القدس؛ كلا وزنر: "أوائل القادة الحشمونيين"، تاريخ شعب إسرائيل في الفترة الهللنيستية، إسرائيل: عم عوبيد المحدودة، ١٩٩١م، ص١٢٦- ص١٤١"؛ William The Jews, P.87.

(1) Peter, Herod, P.210.

(2) Josephus Flavius, Complete Work: The Antiquitie of the Jews and The Wars of the Jews, Tr. By William Whiston, London, 1980, P.86.

(٣) يوسيفوس بن ماتيا اليهودي، (ت١٠٠م): تاريخ يوسيفوس اليهودي، ط١، تحقيق: سليم مدور، إبراهيم سركيس، ط١، دار بيبليون، جبيل- لبنان، ٢٠٠٧م، ص١٣٥.

(٤) تشترط الشريعة اليهودية على من يتولى منصب الكاهن الأعلى أن يكون سليم الأعضاء في حال صحة سليمة. أنظر: عقاب، "العلاقات السياسية"، ص١٤٦؛ Tacilus, The Histories, Trans. By Clifford Homer, Loeb Classical Library, London, 1956, P.191.

قدم يحركها هيرودس كيفما شاء.[١] غير أن هركانوس لم يصغ لنصيحة أحد، وبعد دخوله أورشليم استقبله هيرودس، فشعرت كل من زوجته مريم.[٢] وأمها الكسندرا عَزْم هيرودس على قتله فأعلمتاه بذلك وأشارتا عليه اللجوء إلى ملك الأنباط بعد أن يرسل له من يقوده إليه، حيث مال هركانوس إلى رأيهما، وأحضر أحد أعيان اليهود بعد أن اطمأن إليه واستأمنه على سره وبعثه بكتاب إلى ملك الأنباط. إلا أن الرسول خشي أن يقع في قبضة هيرودس، أو ربما رغب في أن ينال مرتبة عنده، لذلك أخبر هيرودس بما ينوي عليه هركانوس. امتدح هيرودس صنيعه وطلب منه أن يخبره بموضع رسل الملك النبطي فأجابه وانطلق نحو ملك الأنباط الذي وافق بدوره على طلب هركانوس[٣]، وأرسل معه رسله. وقد اطلع هيرودس على الكتاب وقبض على رسل ملك الأنباط وأوفدهم إليه وأستدعى القضاة السبعين بحضرة هركانوس، وأنكر هركانوس طلب اللجوء إلى ملك الأنباط بعد أن سأله هيرودس، فأحضر هيرودس رسل الملك، وتلا ما وجده في الكتاب أمام الملأ، كما أفشى مبعوث هركانوس سره ولم يعد أمام هركانوس سوى الإقرار أمام الجميع، عندها أصدر هيرودس أمراً يقتضي بضرب عنقه، فضرب ومات، وكان قد بلغ من العمر ثمانين سنة بعد حكم دام أربعين سنة وكان خاتم الكهنة ممن ملك على اليهود.[٤]

---

(1) Arvid, S.K., Israel from the Earliest Times to the Brithof Christo, Oxford, 1966, P.139.

(٢) وقع هيرودس، حوالي عام ٢٧ق.م، في غرام امرأة شهوانية حدث أنها كانت ابنة أخيه، كما أنها كانت زوجة فيليب حاكم الرُبع (Tetarch). وكانت هي هيروديـاس (Herodias) سيئة السمعة،= =ولكي يستطيع هيرودس الوصول إليها قام بطلاق زوجته النبطية، ابنة الحارث، وأعادها إلى والدها. ولم يُعرف على وجه التحديد في أي طور من أطوار هيام هيرودس بـ هيروداس قام بإعادة زوجته النبطية إلى العربية، ولكنه يتضح أن الحارث اشتاط غضباً. أنظر جلين وارين بورسوك: الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة: آمل محمد الروبي، مراجعة: محمد إبراهيم بكر، المشروع القومي للترجمة (١٠٦٣)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٠٨.

(٣) يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٥٦- ص١٥٧.

(٤) يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٥٨.

ثانياً: قتل أرسطوبولس:

اشتهر أرسطوبولس بالجمال من بين البشر وكان أكثرهم بهاءًا وضُرب به المثل وبأخته مريم في الجمال، وعرف عن هيرودس- كما سبق- حبه الجم لزوجته مريم، غير أنه بعد أن قتل هيرودس جدها هركانوس تمكن الحقد في نفسها وفي نفس أمها ألكسندرا وتمنت ألكسندرا أن يؤول منصب رئيس الكهنة إلى ابنها أرسطو بولس، إلا أن هيرودس كان يعارض هذه الفكرة بشدة خشية انضمام الناس إليه لمكانته بينهم، ولما يكونه من حب لجده هركانوس.[١] وحينما أمسك هيرودس بزمام العرش استقلت السلطتان الدينية والدنيوية عن بعضهما، فأصبح الحاكم الجديد غير تابع إلى الفئة الكهنوتية. فجدّ في البحث عن أحد الكهنة ممن لا ينسب إلى الأسرة الحشمونية التي كان يمقتها لتكون السلطة الدينية بيده؛ إلا أن زواجه من الأسرة الحشمونية- زواجه بمريم- جعله يضطر إلى جعل رئاسة الكهنة من نصيب أرسطوبولس الثالث ابن ارسطوبولس الثاني، ولعل في اختياره رئاسة الكهنوت من خارج الأسرة هو خوفه من أن ينافسه على عرش اليهودية رجل من الأسرة اليهودية[٢]، فأثار ذلك غضب ألكسندرا وابنها أرسطوبولس وابنتها مريم.[٣] حيث طلب هيرودس من المجلس اختيار من يريدون أن يكون حبراً أعظم، وكان أول المتقدمين له شخص يدعى حنائيل.[٤] والذي جاء من بابل وينحدر من أسرة متدينة بها كثير من الأحبار.

---

[١] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٥٩- ص١٦٠.

[٢] زكي شنمودة: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، ج٨، ص١٩٢.

[٣] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٠.

[٤] لم يكن الرجال الذين اختارهم هيرودس لوظيفة أعضاء من الطبقة الأرستقراطية اليهودية، ولكنهم كانوا دخلاء غامضين، كانوا يدينون بنبلهم له، وربما كانوا تابعين له، وكان مرشحه حنائيل، ولم تكن نهايته معروفة ربما يكون قد مات، وخلفه عيسى بن قابس، الذي لا يعرف عنه شيء، وتم عزله عام ٢٣ق.م عندها أنعم هيرودس بالمنصب على سيمون ابن بوثوس، والد ثالث زوجاته، التي كانت مثل زوجته الثانية تسمى مريم، وقد انتمى سيمون إلى عائلة يهودية الكسندرية مميزة فقد كان منافساً وقريباً بالزواج، وتقلد المنصب مدة سبعة عشر عاماً، وفي عام ٦.ق. طلق هيرودس ابنته لاشتراكها في مؤامرة، كما أنه تورط معها، وخلفه ماتهياس ابن ثيوفيلوس الذي تقلد المنصب لحوالي عام، وقد كان مسئولاً عن عدم منع شئون النسر الذهبي، وتم عزله لصالح جوازار بن بوثوس لكنه أيضاً كان صهراً لماتيهاس المخلوع. بعد ذلك أصبحت الكهنوتية الكبرى توزع على مجموعة مختارة من العائلات التي تتكلم بالإنجيل مثل "الكاهن الأكبر"، وفي نفس الوقت الذي أخذ= =فيه هيرودس موعداً مع الكاهن الأكبر، ربما فرض السيطرة على المعبد وعلى أمواله، وقد كان الأعضاء التالون تمنحهم الحكومة الرومانية ترشيح

وعلى كل حال فإن حنائيل لم يستمر طويلاً في منصبه، والغريب أن هذا الأمر كان في صالح الحشمونيين، أما الشخص الذي بدأ في استفزاز حنائيل فكانت الكسندرا[1]، ويبدو أن الكسندرا استغلت العلاقة الودية التي تربطها بملكة مصر كليوباترا، لذلك بعثت إليها مالاً وهدايا، وطلبت منها أن يأمر أنطونيوس هيرودس نيل ابنتها شرف الحبر الأعظم، فتم ذلك، حيث أرسل أنطونيوس مبعوثا من قبله إلى هيرودس، إلا أن هذا الأخير أبى تنصيبه، وبرز رفضه أن هذا القرار مخالف للشريعة اليهودية طالما أن منصب الكهانة انتقل إلى يد رجل آخر، وفي أثناء مكوث مبعوث أنطونيوس في أورشليم أعجب بجمال أرسطوبولس وأخته مريم فطلب من مريم أن تعطيه صورتهما ليراها أنطونيوس فيساهم في تنصيبه، ففعلت ودوّن تحت الصورة عبارة: إن المَلَك وطئ ألكسندرا- حاشا وكلا- فأنجبت ارسطوبولس فهو مَلَك وليس إنساناً، وعندما وصلت الصورة إلى نظر أنطونيوس شد إعجابه بها، وتمنى لقيا أرسطوبولس، وبعث إلى هيرودس يذكره بفضله عليه من النصرة على أعدائه وتمكينه من السلطة على اليهود، وأمره أن يبعث له أرسطوبولس على الفور، وإلا فإن العداوة ستقع بينهما.[2]

وعلى الرغم من أن هيرودس كان يرى أن أرسطوبولس ممتلئاً بالأخطاء، وبالإضافة إلى ذلك كان حشمونياً، وكان رجلاً جذاباً، وكان لديه القدرة على اكتساب الأصدقاء. ولم يكن هيرودس لديه النية في المغامرة بوضع هذا الشخص لفترة طويلة في هذا المركز القيادي، لذلك قام بتعيين أرسطوبولس حبراً أعظم تفادياً لخطر كليوباترا، زوجة أنطونيوس، وصديقة ألكسندرا، التي لم يجرؤ أحد على مواجهتها وتحدي خطرها.[3]

منصب الكاهن الأكبر مع إدارة المعبد وخزائنه، ويبو أن هذا التزامن للسلطات بدأ منذ حكم هيرودس فأصبح هيرودس بعيداً عن أهم منصب في الكنس اليهودي، أنظر:
Jones, A.H.M., The Herods of Judaea, Oxford of the Clarendon Press, 1967, Israel, P.P. 80-81.

(1) Arvid., Israel, P.138.

(٢) يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٠-١٦١.

(3) Arvid, Israel, P.13.

وعلى أية حال، فإنه نزولاً عند رغبة أنطونيوس من جعل الكهانة لـ أرسطوبولس فقد أطاعه وكتب له بذلك[١]، ولكون منصب الكهانة يتطلب لزوم المكان، فإنه ينبغي على أرسطوبولس عدم السفر إلى مكان بعيداً عن أورشليم، وأن أمر أنطونيوس لأرسطوبولس بالسفر إلى خارج أورشليم، فإن ذلك مدعاة لنشوب الحرب بينهما، فأرسطوبولس مجرد كاهن وليس ملكاً.

بعد أن قرأ أنطونيوس كتاب هيرودس توقف عن طلب أرسطوبولس، وبتعيين هيرودس لـ "أرسطوبولس"- بعد أن أزاح حنائيل- فقد خرج[٢] عن سُنة اليهود، الذين كانوا يعترضون على خلع الكاهن من منصبه إلى أن يتوفى.[٣]

ومع ذلك فقد تمكنت الكراهية في نفوس كل من ألكسندرا وابنتها ضد هيرودس، وفي تلك الأثناء بعثت ألكسندرا إلى كليوبترا بكتاب فيه شكواها من هيرودس وتطلب منها أن تعينها عليه، فأرسلت لها سفناً وخدماً وأمرتها أن تخرج بحيلة من أورشليم إلى يافا[٤]، التي تتواجد فيها السفن ومنها إلى مصر، ولتحقيق ذلك أنشأت تابوتين كتوابيت الموتى وأقامت في إحداهما وجعلت الآخر لابنها ارسطوبولس، وحملوا التابوتين بأمر منها، كما تحمل توابيت الموتى إلى خارج أورشليم نحو القبور، حيث كان اليهود يدفنون موتاهم في جبرون وغيرها بالقرب من المدينة، فوصل خبرها إلى هيرودس الذي لم يكن مطمئناً إلى تصرفات ألكسندرا، حيث كان قد أوكل بها بمن رفع إليه أنباءها دون علمها، لذلك فقد كان هرودس على علم بتحركاتها.[٥] وبالتالي فقد أرسل من يلقي القبض عليهما ويردهما إليه، وعندما وصل التابوتان، أمر هيرودس بفتحهما ففتحا وعندما رآهماهيرودس غضب منهما وعابتهما ثم رضي عنهما وردهما إلى مكان إقامتهما.

---

[١] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦١.

[٢] خرج البعض عن هذه السنة مثل أنتيوخوس المدعو فيموس الذي خلع الكاهن في زمنه ورشح آخر، وأنتيجونس الذي استأصل أذن عمه هركانوس فأصبح معتوهاً، وهيرودس عندما أزاح أحد الكهنة- حنائيل- وعين أرسطوبولس. أنظر: يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٢- ص١٦٣.

[٣] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٢.

[٤] يافا: هو اسم كنعاني يعني "جمال"، وتعد من أقدم مدن العالم تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط على بعد نحو ٣٥ ميلاً باتجاه الغرب الشمالي من أورشليم، وعلى رأس علوه ١١٦ قدماً،= =استولى عليها ملك مصر تحوتمس الثالث، وأورد ذكرها في بياناته وفي لوحات تل العمارنة، فقد كانت مركزاً إدارياً محلياً من عام ١٥٥٠ حتى ١٢٢٥ق.م، أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٤٧.

[٥] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٣.

وفيما يتعلق بارسطوبولس فقد حضر عيد المظال[1] في أورشليم، وكانت الناس تميل إليه وتعجب به كثيراً، فأخ هيرودس يدير له حيلة ليقضي عليه، وكان من عادة الملوك أن يسيروا بعد عيد المظال نحو البساتين في أريحا، فسار هيرودس وحشمه وأرسطوبولس، وبعد أن تناولوا الطعام والشراب مضى الغلمان إلى بركة ماء للسباحة فيها.[2] وبناءً على أوامر هيرودس أخذه الغلمان على حمام السباحة وأغرقوه فيه، وذلك في مدينة أريحا.[3]

وعندما توفي أرسطوبولس بكى عليه هيرودس بكاءً مُراً طويلاً، وأمر بدفنه وزاد في إحسانه له. وكان أرسطوبولس قد بلغ من العمر سبعة عشر حولاً، ولم يكن قد قضي في الكهانة، إلا أقل من سنة. وبموت أرسطوبولس غرقاً استحوذ الحقد على قلب ألكسندرا وابنتها تجاه هيرودس. هذا وقد كانت

---

[1] عيد المظال: هو آخر الأعياد السنوية الكبرى وثاني أعياد الحصاد. أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦؛ ويأتي بعد عيد (روش هاشاناه) رأس السنة الجديدة بخمسة أيام، وهو عيد من سبعة أيام كان في الأساس احتفال لتقديم الشكر مخصص للتعبير والامتنان عن ثمار الخريف من الكرمة والشجر، ويرتبط الآن بفكرة حكمة الإله المدبر في أيام تيه بني إسرائيل في الصحراء، حيث كان موجههم وهاديهم. أنظر: جون. ب. نوس: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، ترجمة: عبد الرازق العلي، تحرير: فراس السواح، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٩م، ص١٩٩؛ ويطلق عليه في اللغة الإنجليزية مصطلح (Tabernacle)، ويعني الخيمة، والهيكل المقدس، خيمة الشهادة، خيمة الاجتماع في اليهودية وهي خيمة على شكل مستطيل ذات إطار خشبي مغطاة بالقماش والجلود صنعت بأمر إلهي- كما يزعمون- كمكان عبادة متحركة في البرية، وكان يرتأي من الناحية اللاهوتية أنها تضم حضور الإله وسط شعبه- حاشا وكلا- أنظر: نور الدين خليل: قاموس المسيحية، راجعه: محمود آدم، الفتح، الإسكندرية، (د.ط)، ٢٠٠٧م، ص٥٤٧؛ ويتم تزيين الخيمة= =بكل أنواع الثمار والأزهار، وكان الميسورون ينصبون خيمة أو عريشاً في فناء بيوتهم أو بجانبها ويتناولون وجبتاتهم فيها، وبعضهم كان ينام فيها، آخر يوم في الاحتفال كان الاحتفال بالتوراة حيث يتم فيها حمل اللفائف من التابوت ولسير في موكب الخيمة. أنظر: جون. ب. نوس: موسوعةتاريخ الأديان، الكتاب الخامس، ص١٩٩، وللمزيد أنظر: الكتاب المقدس: سفر الخروج ٢٥: ٨ وما بعدها؛ سفر التثنية ١٦: ١٦؛ أخبار الأيام الثاني: ٨: ١٢، ١٣، ملوك الأول ٩: ٢٥ ١٢: ٣٢؛ زكريا ١٤: ١٦.

[2] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٤.

[3] مدينة أريحا: تقع على الضفة الغربية لنهر الأردن، وعند شمال البحر الميت وهو تبعد عن مدينة أريحا الحالية نحو ميل جهة الغرب ويطل على مكانها تلال أبي العلايق شمال تل السلطان، وهي إحدى مدن فلسطين ذات القيمة التاريخية القديمة. إذ يرجع تاريخها إلى ٦٨٠٠ق.م. وتم تدميرها فنهاية العصر البرونزي، كما تعتبر أقدم مدينة تم اكتشافها حتى الآن. أنظر: عيسى الحسن: موسوعة الحضارات، ط١، الأهلية، عَمان، الأردن، ٢٠٠٨م، ٢٠٠٧، ص٤١.

مريم ثُعير أم هيرودس لكونها من بيت آل أدوم، ولا ينكر هيرودس ذلك عليها لحبه لها، إلا أن هذه العداوة سلكت طريقاً آخر، فكانت سالومي، أخت هيرودس، ذات مكر- كما سيأتي- ولم تكن مريم كذلك.[١]

ثالثاً: علاقة هيرودس بأنطونيوس وموقف أغسطس من تلك العلاقة:

كان هيرودس محنكاً كأبيه، فبعد أن أدار ولاية الجليل سافر إلى روما مطالباً بأحقيته في الحكم ونجح في إقناع أنطونيوس وأوكتافيوس، كما تعهد لروما بتحقيق ولائه لها في فلسطين وأنه سيبذل جهداً لإجلاء البارثيين عنها، وفي سنة ٤٠ق.م لقيت مطالب هيرودس قبولاً في مجلس الشيوخ الروماني أمام إلحاح أنطونيوس بجعل هيرودس ملكاً على فلسطين في حال تنفيذ وعوده لأنطونيوس.[٢]

هذا، وقد استغلت كليوباترا مكانتها لدى أنطونيوس، الذي كان لا يرد لها طلباً، فقد شجعته على قتال الملوك[٣]، والعمل على سلب أموالهم ودارهم، وحمل نسائهم وأولادهم أسرى، فتم لها ما أرادت، فكانت سيدة عليهم، ولعل ذلك من دوافع كراهية كثير من الشعوب لأنطونيوس، كما أثار ذلك غضب أغسطس، حينما وصلته أنباء قتال أنطونيوس للشعوب، ثم شجعته على قتال هيرودس، فلم يجبها نظراً لمكانة هيرودس عند أغسطس فَحَسَّنت له حرب أغسطس فاستجاب لها، واستدعى هيرودس ليعينه فمضى إليه هيرودس بصحبة جنده إلى مصر، فأشار عليه أنطونيوس الإشتغال بحرب الأنباط، وانطلق هو نحو روما، بينما مضى هيرودس نحو بلاد الشام.[٤]

---

[١] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٥.

[٢] قاسم الشواف: فلسطين التاريخ القديم الحقيقي منذ ما قبل التاريخ حتى الخلافة العباسية، ط١، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٢٧٨.

[٣] دفع زواج أنطونيوس بكليوبترا إلى توسع ملك البطالمة على حساب الإمبراطورية الرومانية، حيث أصبحت في سنة ٣٧م كلاً من قيرونة وقبرس وإمارة خلقيس البقاعية والشاطئ الفينيقي حتى النهر الكبير تحت حكم كليوبترا، وضم إليها إحراج قيليقية الضرورية لأحواض السفن المصرية وطرفاً من جزيرة كريت.
أنظر: أسد رستم: عصر أوغسطوس قيصر وخلائه ٤٤ق.م- ٦٩م، ط٢، المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٩١م، ص٧٣.

[٤] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٦.

كانت كليوبترا تنوي القضاء على هيرودس ليتسنى لها السيطرة على منطقة حكمه من جهة، وتلبية لرغبة ألكسندرا في الفتك به من جهة أخرى[١]، لذلك بذلت كليوبترا جهدها لإعادة السيطرة على جميع فلسطين[٢] التي منحها لها أنطونيوس في سوريا وفينيقيا[٣]، وبسبب ذلك كان هيرودس يكن لكليوبترا الكراهية ويخشى تصرفاتها، حيث أنها كانت تعين أعداءه من البيت الحشموني للثورة عليه[٤]، بعثت كليوبترا مع هيرودس- أثناء خروجه من مصدر لمحاربة بلاد لأنباط- قائداً يدعى أنثياون برفقة جند كبير، وادعت أن ذلك مدد قدمته لمعاونة هيرودس[٥]، غير أنها كانت ترغب في أن تُطبّقُ عليه الأنباط من الأمام وأنثياون وجنده من الخلف. وعندما بدأت الحرب مع العرب مات عدد كبير سواء من اليهود أو الأنباط أو أتباع انثياون، فسار هيرودس إلى أورشليم ومكث بها، إذ حدثت بها هزة شديدة، لذلك قرر هيرودس السلام مع جميع الأمم فدانوا له عدا ملك الأنباط، الذي قتل رسل هيرودس لظنه أن هيرودس وصل إلى درجة من الضعف والرهبة منه، غير أن هيرودس انطلق بجنده نحو بلاد الأنباط وانتصر عليهم وضرب الحصار على من أبى القتال منهم مدة خمسة أيام حتى نفذ الماء، الذي معهم وعطش القوم، وبعثوا إلى هيرودس هدايا ورسلاً يطلبون منه رفع الحصار والسماح لهم بالمضي نحو الماء، فأبى هيرودس إلا القتال، فاتفقوا على أن يخرجوا إليه، فخرجوا وفتك بهم ومن فر منهم لحقه وأصاب منهم نحو تسعة آلاف قتيل واستحل بلادهم وأموالهم ودمر سكانهم، فدانت له الأنباط بالطاعة، وأعطاهم هيرودس الأمان وفرض عليهم جزية سنوية. وعاد إلى أورشليم ولم تعارضه الأنباط بعد ذلك.[٦] وإذا ما كان ما

---

(١) يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٦-ص١٦٧.

(٢) كانت اليهود في السابق في أيدي عائلتها البطالمة، وبما أنها تق على مقربة من نطاق سيطرتها فقد طمعت في الحصول عليها. أنظر: William, The Jews, P.62.

(٣) جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٦٨م، ٣/٢٥-٢٦؛ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٥١٤-ص٥١٥؛ فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، بيروت، ١٩٥٨م، ١/٣١١-٣١٢.

(٤) سيد أحمد علي الناصري: "المصادر الأثرية والأدبية لأورشليم القديمة منذ تأسيسها حتى طرد الرومان لليهود منها عام ١٣٥م"، مؤتمر مصادر تاريخ القدس المنعقدة في الفترة من ٢١-١٩٩٨/٣/٢٣م، إشراف وتقديم: حامد زيان غانم، عطية أحمد القوصي، جامعة القاهرة ، ١٩٩٨م، ص٣١.

(٥) يوسيفوس: تارخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٦.

(٦) يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٨؛ فيليب حتى، تاريخ، ص٣١١-٣١٢؛

زعمه المؤرخ اليهودي صحيحاً، أو حتى قريباً من الصواب، فليس هناك من ريب في أن قوة هيرودس لم تكن وراء هذه الانتصارات، وإنما كان السبب فيها قوة الرومان الطاغية، وجنود الأنباط غير المدربين.[١] وأما أنطونيوس فقد قتل بيد أغسطس (أوكتافيوس) في روما ثم مضى أغسطس نحو مصر. عندها أدرك هيرودس أنه سيقتل على يده كما قتل أنطونيوس فأرسل أمه وأخته مع يوسف، أخيه، إلى جبل الشراة، في قلعة هناك، أما مريم وإلكسندرا فتركهما في حصن اسكندرونة بصحبة يوسف، زوج أخته، إضافة إلى رجل من أهل صور يدعى سومي وأمرهما بقتل مريم وألكسندرا إن قتل هو واستأمنهما على سره وجلب معه العديد من الهدايا. رغب أغسطس في قتل هيرودس لإنضمامه سابقاً إلى جانب أنطونيوس من أجل الفتك به، وبعد أن التقيا أمر أوكتافيوس (أغسطس) أن يزيح هيرودس التاج عن رأسه وأن يتقدم ففعل وسلم عليه وبارك له النصر، وتحدث معه مبرراً موقفه بأن الذي حاربه هو أنطونيوس، ولكن ليس شخص هيرودس، الذي لم يقف ضده، بل توجه لمحاربة الأنباط، وأنه يحمل كل جميل لم يحسن إليه، وحاربته كليوبترا في قتال أنطونيوس له. وقد راق لأغسطس كلام هيرودس وأمر بإرجاع التاج إلى رأس هيرودس ومضى إلى مصر برفقته، إلى كليوبترا بالإسكندرية[٢]، وذلك بعد أن أصبحت كليوبترا تأمل في الحصول على العفو من أوكتافيوس وذلك بجثة زوجها الميت، غير أنها أُخبرت سراً أن أوكتافيوس ينوي أخذها أسيرة إلى روما للإحتفال بنصره عليها وعلى زوجها، فأنهت حياتها مثل أنطونيوس، ووجدت ميتة في قبره، وبذلك أصبح أوكتافيوس السيد الذي لا منازع له في كل الإمبراطورية الرمانية.[٣]

بعد ذلك منح أوكتافيوس كل ما وهبه أنطونيوس لكليوبترا إلى هيرودس، ثم قفل راجعاً إلى روما، بينما عاد هيرودس إلى أورشليم.[٤]

Altheim, F. and Stiehhl, R., Die Arober in der Alten Welt, Berlin, 1964-1968, P.P.306-307.

[١] جواد علي، المفصل ٣٧/٣؛ مهران، إسرائيل، ١١٤٢/٨؛ فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، نظرية كمال الصليبي في ميزان الحقائق التاريخية والآثارية، (د.ن)، (د.ت)، ص١٤٨؛

Alteim and Stiehl, Die Araber, P.360.

[٢] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٨- ص١٧٣.

[3] William, The Jews, P.690.

[٤] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٦٨- ص١٧٣.

رابعاً: قتل هيرودس زوجته مريم وأمها الكسندرا:

كشف يوسف سر هيرودس لمريم بأنها ستقتل في حال قتل هيرودس وذلك ليس عن نية سيئة وإنما لإثبات إلى أي مدى أحبها الملك، حيث لم يستطع تحمل أن يفرق الموت بينهما.

وعند عودة هيرودس وخلال لقاء بينهما أقسم لها بحبه وتقديسه لها، وأنها المرأة الوحيدة التي أحبها. هنا تعجبت مريم قائلة: "إنها طريقة جيدة لإظهار حبك لي بأن تعطي يوسف أوامر بقتلي"، وعندما علم بأن السر قد انكشف جن جنونه، وأعلن أن يوسف ما كان له أن يكشف السر ويفضح تعليماته إلا إذا كانت قد أغوته، ومن ثم فقد أعماه الغضب فهب من سريره واندفع بوحشية حول القصر.

انتهزت سالومي أخته هذه الفرصة لتشويه سمعتها مؤكدة له أن شكه في يوسف كان في محله وساقته الغيرة[١]، فأمر بإعدام كلتيهما مريم وأمها ألكسندرا فوراً، إلا أن الغضب سرعان ما أفسح الطريق للندم، وعندما مات الغضب اشتعلت نار الحب من جديد ولم يصدق أنها توفيت.[٢]

هكذا، ظلت مملكة هيرودس مستمرة في سلسلة من الصراعات وعدم التحكم في اليهود، وكان مكروهاً فلم يكن اليهود- كما سبق- ليتقبلوه ملكاً عليهم لو الظروف والوسائل التي استخدمها لكي يقوي مركزه، والتي كان منها الإعدام والقتل، وذلك من أجل شيء واحد وهو أنه كان يمتلئ بالخوف من الحشمونيين قد يشغلون مكانه، فساورته الشكوك في كل من حوله حتى في أسرته ووصل الأمر إلى الشك في زوجته مريم.[٣]

---

[١] وذلك لفرط غيره هيرودس على مريم بأ تصبح زوجة لغيره عقب وفاته فأمر بقتلها. أنظر: زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، ج٨، ص١٩٢.

[2] Josephus, The Jewish, P.87.

[3] Arvid, Israel, P.13.

خامساً: توطيد حكم هيرودس وأهم أعماله الحضارية:

بعد أن قضى هيرودس على يوسف، زَوَّج أخته سالومي من أحد الأدوميين، ويدعى كرسوس ومنحه حكم بلاد أدوم، فعمل على معارضة هيرودس، فوقع خلاف بين كرسوس وزوجته سالومي، فطلبت من أخيها هيرودس أن يُطلقها منه ففعل، وكان عدد كبير من أبناء الملوك المكابيين من الأسرة الحشمونية قد فروا من هيرودس مستغيثين بكرسوس في بلاد أدوم فأمنهم مدة اثنتي عشرة سنة، ومن ثم فقد بعثت سالومي بنبأهم إلى أخيها هيرودس، الذي أمر بالقبض عليهم واقتيدوا إليه، فقضي عليهم وعلى صهره كرسوس، كما قتل عدداً كبيراً من أعيان اليهود فأمن بذلك حكمه، وكما عارض تعاليم التوراة، حيث عني بإقامة أبنية في أورشليم وبتجميلها، ونسخ عليها صور الحكام، الذين انتصر عليهم، وأنشأ ميداناً يحتوي على عجل تجرها الخيول للمنافسة وزوده بأنواع من السباع والوحوش، كما كان يلقي بالناس إليها حتى تأكلهم وهو ينظر إليهم، أو أن يقوم الناس بمصارعتها، فإن نجحوا كافأهم بالمال، وكان شيوخ اليهود يمقتون ما يصنعه هيرودس من أفعال، إلا أنهم لا يجاهرون بذلك خشية منه.[1]

في حقيقة الأمر، لقد رغب جماعة من اليهود القضاء عليه لأنه سيفتك بهم، ولأنه كان من أطاعه أحسن إليه ومن خرج عن طاعته قضي عليه. وبسط سلطته على كل اليهود، وأخذ منهم الولاء والطاعة فأغدق على شيوخ الفريسيين الشيخان هليل وشماي وأصحابهما فنالوا حظوة عنده لأنهما أشارا على الناس بتمليك هيرودس، كما أكرم شيوخ الصلحاء كالشيخ مناحيم الذي يعد من أجلّ شيوخهم.[2]

هذا، ولقد أنشأ هيرودس العديد من المدن مثل مدينة صوموروون وأطلق عليها سبسطية، وأقام بها قصراً عني بتجميله للإمبراطور الروماني أغسطس، وأقام مدينة قيصرية وجعل بها قصراً يُضرب به المثل في الحسن، وعلى مقربتها أنشأ خاناً عظيماً.

إنه- أيضاً- من الأعمال الجليلة التي قام بها هيرودس، سنة ثلاثة عشر من حكمه، حين حلت عيهم مجاعة فتدهور حال الناس، في حين كانت مصر وروما تنعم بالخيرات، ولهذا فإنه أرسل إلى الإمبراطور أغسطس يعمله بما حل بهم من مجاعة ويطلب منه أن يبعث إليه بغلة فارس ومن ثم فقد أرسل أغسطس

---

[1] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٧٧.

[2] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٧٨.

إليه غلات، وأمر حاكم مصر أن يرسل هو الآخر غلات لليهود ويبيعها[1] عليهم بسعر زهيد حتى فاض الطعام في بلاد الشام وحسن حالهم، كما أمر هيرودس عدد كبير من الخبازين أن يخبزوا ففعلوا وكان يبعث به كل يوم إلى الأرامل والعميان والشيوخ والأيتام والمرضى، كما كان يعطي الجميع منه ما يسد حاجتهم فَحُمِدَ على تلك الأعمال.

وقد أثبت هيرودس قدرات عقلية وعاطفية مثيرة للإعجاب أثناء المجاعة التي أصابت البلاد، وكان الصغار والعجزة والضعفاء- كما رأينا- هدفاً لعنايته ورعايته كما استطاع تخفيض الضرائب عندما اعتقد أنها ثقيلة.[2]

وبعد أن استقرت الأمور جميعها لهيرودس وقوي حكمه سعى في السنة الثامنة عشرة من حكمه إلى هدم أورشليم وإعادة بناءها، كما كان البناء زمن الملك سليمان ابن داود- عليهما السلام- وتم له ما أراد، فأعد أدوات البناء من حجارة وخشب وذهب وفضة وجواهر، وحجارة المرمر، وحديد، ونحاس، وغير ذلك مدة ست سنين وشرع في البناء نحو عشرة آلاف صانع، غير من يتبعهم وجعل نحو ألف كاهن يشرفون على البناء.[3]

هدم هيرودس أورشليم من أساسها وأعيد بناؤها، حيث بدأ بناءه عام ٢٠ق.م- وهي السنة الثامنة عشرة من حكمه- وإن لم ينته البناء إلاَّ في عهد أغريبا الثاني، وبالتحديد في عام ٦٤م، وقد وسعت مساحته إلى ضعف ما كان عليه من قبل. هذا وقد بني المعبد من كتل حجرية كبيرة، وغطيت واجهته بالذهب، كما بني السور من كتل حجرية كبيرة مستطيلة، بلغت ١٩ مدماكاً، وكان ارتفاعه فوق سطح الأرض ثمانية عشر متراً، وأما قدس الأقداس (منزل الرب) فقد غطيت واجهته بالذهب، وقسم إلى ثلاثة أقسام، مائدة البخور، وأخرى لخبز التقدمة، فضلاً عن الشمعدان الكبير ذي الأفرع السبعة.[4]

حاول هيرود أن يهتم بالمبادئ الدينية وأحواض القرابين محاولاً بذلك أن ينال رضى اليهود، وعلى كل الأحوال لم ينل من الدعم والرضى سوى

---

[1] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٨٠.

[2] William, The Jews, P.78.

[3] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٨١- ص١٨٣؛ عبد العليم، راشد، اليهود، ص٢٣٢.

[4] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٨٤؛ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٢٢؛ السواح: الحدث التوراتي، ص١٤٨.

القليل، وكان الغرض الأساسي من بناء هذه الصروح الضخمة هو اكتساب المكانة الإجتماعية، ولم تكن المسألة متعلقة بالجنب الديني، بل إن هيرودس أراد ن يبين من خلال هذه المباني الضخمة على الطراز الهللنستي مدى قوة الحكومة.[١]

هذا، ولم يكن استبداد هيرودس هو الذي جعل سكان أورشليم وما جاورها كأنهم أعداؤه اللدودين، فقد كان استبداد العديد من الحشمونيين وحشياً جداً، ولم تكن تغضبهم هيللينية الملك وميله لليونانية، لكن الحقيقة هي كونه أدومي غريب على أبواب إسرائيل. ولم تكن الكراهية العرقية متفشية بين أمم العالم القديم كما كانت متفشية بين اليهود في اليهودية.[٢]

سادساً: قتل هيرودس ولديه إسكندر وارسطوبولس:

وَرَّدت الأم مريم مرارتها لأبنائها الذين نظروا إلى والدهما على أنه عدو وأن يديه ملطخة بالدماء أولاً في فترة تعلمهم في روما، ثم زادت مرارتهما أكثر عندما عادوا إلى أورشليم، وعندما اقتربا من سن الرجولة ازدادا قوة، وعندما وصلاً إلى سن الزواج، تزوج أرسطوبولس من ابنة عمته سالومي، التي اتهمت والدتهما، وتزوج الآخر، وهو إسكندر، من جلافيرا، ابنة الملك أرخيلاوس، ملك كبادوكيا، لم يقوما بأية محاولة أخرى لإخفاء كراهيتهما له، وقد أعطت هذه الفرصة للمتغربين ومحبي تشويه السمعة، ورددا على مسامع الملك أن كلاً أبنيه يدبران مكيدة ضده، وعندما شحنته هذه الإفتراءات والأكاذيب استدعى هيرودس ابنه، من دوريس، انتيبطرس وبدأ يظهر تفضيله له بكل الطرق، كان هذا الموقف الجديد أكبر من أن يتحمله الإبنان، إذ استشاطا غضباً لأن انتيبطرس كان من سيدة من عامة الشعب، بينما هما أصحاب مولد مكي.[٣]

هذا، ولذلك دبر أنتيبطرس مؤامرة اغتيال أخويه، فأوعز صدر أبيه بأن أخويه ينازعانه الحكم ويحملان غلاً على أبيهما، لأنه قضي على أمهما، وأنهما عازمان على قتل والدهما، فأخذت تلك الوشاية مأخذها من هيرودس، حيث سافر إلى روما بصحبة ابنه إسكندر حتى نزل عند أغسطس شاكياً له موقف ابنه تجاهه، وعندما أراد أغسطس من إسكندر معرفة سبب غلظته على أبيه، فأجابه إسكندر بأنه قد حز في نفسه وفاة أمه على يد أبيه، وأن أنتيبطرس يختلق أكاذيب ضده،

---

(1) Arvid, Israel, P.P.141-142.
(2) William, The Jews, P.85.
(3) Josephus, The Jewish, P.88.

وضد شقيقه أرسطوبولس حتى يتخلص والدهما منهما، كما تخلص من أمهما، فطلب أغسطس أن يُقبل إسكندر قدمي هيرودس فامتثل لقوله، كما أمر هيرودس أن يضم ابنه إليه فصنع ذلك ووهب أغسطس لهيرودس جوائز وهدايا، فمكث في روما أياماً ثم رجع إلى أورشليم وجمع أعيان اليهود وأبناءه الثلاث وأسمع الحاضرين بأن مملكته ستؤول إلى أبنائه الثلاث بالتساوي ويطلب منهم بذل النصح لأبنائه في حال حدوث نزاع بينهم، إلا أن ما عمله هيرودس لم يجد نفعاً ولم يكن حلاً للنزاع بين أبنائه بسبب أن أنتيبطرس رغب في عدم وجود شريك له في الحكم، وكذلك أخويه كانت لهما نفس الرغبة وكان أنتيبطرس يظهر لأخويه الجميل ويبطن القبيح فاستغل بغض عمته سالومي وعمه فيروراس لأخويه أرسطوبولس وإسكندر بسبب بغضهما لمريم من جهة، كما استغل العلاقة الطيبة التي تربطهما بأبيه من جهة أخرى، فأوعز صدريهما بأن يقولا لأبيه أن أرسطوبولس وإسكندر يريدان قتله وقتل أنيبطرس، ثم أخيراً والده يمثل قوله، وكذلك عمل الوشاة، مما أثار غضب هيرودس فقبض عليهما، وحينما وصلت الأنباء إلى أرخيلاوس، ملك كبدوكيا، الذي اشتهر بحكمته وفضله، حيث أبدى لهيرودس عدم الرضى عن إسكندر في الوقت الذي يستميل فيه هيرودس إلى جانبه، وأوضح له أن أخاه فيروراس هو من أفسد قلبه على ولديه[1]، وطلب أرخيلاوس أن يصفح هيرودس عما يدور من فيروراس فكان له ما طلب وأقر فيروراس بذنبه وأنه فعل ذلك بسبب أن هيرودس فرق بينه وبين جارية له وأخذها منه، فرضي هيرودس عن ولديه إسكندر وأرسطوبولس ومنح أرخيلاوس هبات ومالاً ثم سار معه هيرودس ومعهم جماعة شايعوا أرخيلاوس، الذي عاد لبلده، ورجع هيرودس إلى أورشليم غير أن رضى هيرودس عن ولديه أثار حفيظة أنتيبطرس فأخذ يدير الحيل حتى يثير هيرودس على أخويه، فوجد ضالته عندما أعطى أحد خواص أبيه مالاً وسأله أن يحتال في إفساد قلب هيرودس على ولديه ففعل، ونجح في ذلك فما كان من هيرودس إلا أن قبض على ولديه، وأصدر أمره بقتلهما وصلبهما في سبسطية فقتلا وصلبا[2]، وأمر بدفنهما في قلعة الكسندريوم، لكي يتم دفنهما إلى جوار الإسكندر جدهم وبذلك تنتهي قصة إسكندر وأرسطوبولس.

كانت جلافيرا قد أنجبت لإسكندر ابنين هما تجرانيس والإسكندر، بينما برنيكي ابنة سالومي قد أنجبت لأرسطوبولس ثلاثة أبناء هم: هيرودس وإغريباس وأرسطوبولس، وابنتين هما هيروديا‌س وماريام، وقد أعاد هيرودس جلافيرا إلى كبادوكيا مع مهرها بعد إعدام إسكندر، وزوج برنيكي أرملة ارسطوبولس إلى

---

[1] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٨٥- ص١٩٠.

[2] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٩١- ص١٩٣.

شقيق والده أنتيباتر، هذا الزواج لتهدئة وتخفيف عداء سالومي، كما حاول خداع أخيه فيروراس بالهدايا وخداع أصدقاء القيصر وتجنبهم.[١]

سابعاً: قتل هيرودس ولده أنتيبطرس:

سُرّ أنيتبطرس بهلاك أخويه أرسطوبولس وإسكندر مما أدى إلى مقت الناس له، إلا أن أنتيبطرس رغب في ملاحقة أبناء أخويه بالأذى، وأما هيرودس فقد حزن على قتله لأولاده وسعى إلى احتضان أولادهما فاقترح على أخيه فيرواس أن يزوج ابنته من تجرانيس بن إسكندر، وأشار على ابنه أنيبطرس أن يزوج ابنته من ابن أخيه أرسطوبولس فوافق كل منهما على كره وبعث أنتيبطرس بأموال طائلة إلى عمه فيروراس لإفساد ما قرره هيرودس من أمر الزواج خشية أن يشتد عضد تجرانيس بن إسكندر بحميه، وجده أرخيلاوس صاحب كبدوكيا، كذلك ما يحمله من مقت تجاه أخوته وأولادهما، ونجح فيروراس في تحقيق مراد أنتيبطرس بالحيلة، ثم بعث هيرودس ابنه أنتيبطرس إلى روما للسلام على أغسطس وتجديد العهد، وبعد مضي أنتيبطرس وصلت الأنباء إلى هيرودس أن فيروراس أخاه يدبر مؤامرة لقتله فغضب هيرودس وأمره أن يمسك بيته[٢]، ولا يدخل عليه أحد فاعتلاه داء الموت وبعث إلى هيرودس يطلب منه أن يفد إليه، فانطلق هيرودس، وحينما شاهده بكاه بكاءً مراً وعاهده أنه سيعامل أهله وأولاده من بعده بالحسنى، ورجع هيرودس ثم توفي فيروراس فحزن عليه هيرودس، وأمر أن يدفن في موكب احتفال إلى مقبرة آبائه، وأراد هيرودس أن يتأكد من وشاية قتله على يد أخيه فأمسك بخدامه وجواريه وتحت وطأة العقاب اعترفت إحدى جواريه أن فيروراس وأنتيبطرس كانت يلتقيان في مجلس أعدته دوريس فيقضيان عندها الليل يشربون ويحيكون المؤامرات ضد هيرودس، وأقرت أن أنتيبطرس أخبر فيروراس أنه لا يأمن شر أبيه فقد قضي على زوجته وأبنائه فينبغي القضاء عليه قبل أن يتجرأ على قتلهما. كما ذكرت أنهما تواطئا على سير أنتيبطرس إلى روما ومكوث فيروراس بقرب الملك فيقتله غيلة وبعد رجوع أنتيبطرس من روما يكون له الحكم، وتأكد هيرودس من صحة ما ذكرته الجارية، لأن وراثة الملك لأنتيبطرس كان سراً بينهما، فأطلق جميع خدم وجواري فيروراس، وتثبت هيرودس من مؤامرة قتله عندما قبض على خان أنتيبطرس واعترف أن أنتيبطرس قد استدعي أحد أصدقائه من مصر ومعه سم في قارورة فتقوم زوج

---

[1] Josehus, The Jewish, P.P.102-103.

[٢] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٩٤- ص١٩٥.

فيروراس بوضع السم له، وأقرت بذلك هي الأخرى، وأرسل إلى ابنه أنتيبطرس يستدعيه على وجه السرعة من روما، فرجع أنتيبطرس بصحبته مبعوث أغسطس أوراس، وفي قيصرية وصلة نبأ وفاة فيروراس وغضب هيرودس على دوريس، حيث استبعد عنها لقب سيدة، فخشى أنتيبطرس من بوح مؤامرته، فرغب في الفرار غير أن عبيد هيرودس قد تصدوا له خوفاً من الملك فسار إلى أبيه، لكن هيرودس كره رؤيته فأدار وجهه عنه، وفي الغد قدم مع مبعوث أغسطس واستدعى أصحابه وقواده، الذين اعترفوا بما خطط أنتيبطرس وأمام الملأ تُلي كتاب دوريس وفيه تحذير لابنها من دخول أورشليم دون جند قوي من الرومان، لأنه ظهر كيد ابنها أمام هرودس، وعندما أحضر أنتيبطرس بأمر من هيرودس بكى وانطرح بين يدي أبيه خشية عقابه.[١] ويبدو أن هيرودس اكتشف زيف قول ابنه فكبله وأدخله السجن إلى أن قتل- كما سيأتي- وعن قارورة السم فقد ختم عليها هيرودس وبعث بها إلى أغسطس ليطلعه على حقيقة الأمر.[٢]

هذا، ومن أجل ولائه للإمبراطرية الرومانية، وخوف على مكانته استخدم هيرودس كل الوسائل الممكنة لتأمين مكانته، حتى أنه أعدم- كما سبق- زوجته مريم، وابنيها إسكندر وأرسطوبولس، وكان ابنه الأول أنتيبطرس، من دوريس اليهودية من مدينة أورشليم، وبعد أن أصبح هيرودس والداً مرة أخرى يمكن أن يكون هذا الود المنافس لمريم وولديها، وفي البداية عينه هيرودس ولياً للعهد له، ولكن الشكوك التي ملكت هيرودس جعلته يسير نحو حتفه، فقام بإعدام أنتيبطرس، ومن المحتمل أن أنتيبطرس قد تلقى عقابه نتيجة لمشاركته في الجرم.[٣]

موت هيرودس:

عانى هيرودس من ويلات المرض في العام الأخير، فمكث في أريحا، حيث الطقس الدافئ، غرب البحر الميت، وكان يبتغي الراحة، إلا أنه توفي في أريحا عام ٤ق.م[٤]، بعد أن اعتلاه داء الموت وتضاعفت علته يوم بعد يوم ويأس من حياته طلب تفاحة وسكيناً وأراد رفع السكين إلى قلبه، وصاح غلمانه وأجهشوا بالبكاء، وأخذوا السكين منه، وتعالت أصواتهم بأن الملك قد مات،

---

[١] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص١٩٦- ص٢٠١.
[٢] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص٢٠٧.
[3] Arvid, Israel, .142.
[4] Arvid, Israel, .143.

فسمع بذلك أنتبطرس وهو في السجن وأمر المسئول عنه أن يخلي سبيله غير أن المأمور به أخبر أنتيبطرس بأن الملك لم يمت بعد، وحينما علم الملك بموقف ابنه من شائعة موته، أمر بقتله فقتل. ثم أوصى بالحكم من بعده لإبنه أرخيلاوس ودون أمره في كتاب العهد، وتوفي هيرودس بعد موت ابنه أنتيبطرس بخمسة أيام، وقد بلغ من العمر نحو سبعين عاما، وملك سبعاً وثلاثين سنة، وكان الملك ذا هيبة، اشتهر بتغلبه على أعدائه، وبالتمرد والشدة، وقد أوصى هيرودس قبل وفاته بالقضاء على كل المسجونين عقب موته، لكي يكون في كل بيت بكاء وعويل، لئلا يفرح الناس بموته، إلا أن أرخيلاوس تجاهل هذه الوصية وأطلق سرح السجناء وعاملهم معاملة طيبة وكانوا جمعاً غفيراً.[١]

هذا، وبعد وفاة هيرودس جمع كاتب نيقولا الملأ حوله وتلا عليهم نص كتب العهد وعليه ختم هيرودس، فرضى الناس وأعلنوا ولاءهم لأرخيلاوس، ثم سار أرخيلاوس في موكب مع الناس لدفن الملك في مقبرة أعدها هيرودس، فحمل على سرير أعد من الذهب ورصع بالجواهر النفيسة ووضعت ستائر على السرير، صنعت من الديباج المثقل بالذهب والأرجوان، وأسند هيرودس بوسائد من الديباج، ووضع تاج الحكم على رأسه وبيده قضيب من الذهب رسمه في حياته، وسار أبناؤه أمامه بصحبته أعيان اليهود وقوادهم في حين سار خلفه جنده وخدمه مرتدين الملابس المزينة وبأيديهم الأسلحة، وكان عدد خدمه نحو خمسين يحملون المسك والعنبر الجيد والكافور الثمين، وغيرها من الأطياب يلقون بها على الناس، وحمل الملك من قصره إلى قبره في احتفال بهيج، لأنه كان مهاباً لديهم.[٢]

هذا، وقد كان حكم هيرودس صارماً إلى آخر حياته، فكانت آخر المذابح التي أمر بها، وهو طريح على فراش الموت، وقد ألغي الإجتماعات العامة، وبعث بجواسيسه في كل الجهات يجمعون له الأخبار سواء كانت معارضة ضده أو انتقاص لسلوكه العام والخاص، ومن ثبت تجريحه لشخصه فإنه ينقاد إلى قلعة هيركانيا، حصنه الخاص ثم لا يعرف عنه شيء بعد ذلك.[٣]

ويبدو أن الغموض يكتنف موقف هيرودس في تاريخ اليهود، واتسمت فتر حكمه بأنها آخر عهود إسرائيل الزاهرة، وقد أجاد اللباقة في سياسته مع روما فحظي بودها.[٤]

---

[١] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص٢٠٧- ص٢٠٩.
[٢] يوسيفوس: تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص٢٠٩- ص٢١٠.
[٣] فراس السواح: تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط٣، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٢٦٨.
[٤] زايد: القدس الخالدة، ص١٢٠.

قائمة المصادر والمراجع والرسائل العلمية والدوريات والمؤتمرات

أولاً: المصادر:

أ- العربية:

١- قاموس الكتاب المقدس، ط١٤، دار مكتبة العائلة، ٢٠٠٥م.

ب- الترجمة:

٢- الكتاب المقدس.

٣- يوسيفوس بن ماتيا اليهودي، (ت١٠٠م): تاريخ يوسيفوس اليهودي، ط١، تحقيق: سليم مدور، إبراهيم سركيس، ط١، دار بيبليون، جبيل- لبنان، ٢٠٠٧م.

ج- الأجنبية:

4- Josephus Flavius, Complete Work: The Antiquitie of the Jews and The Wars of the Jews, Tr. By William Whiston, London, 1981.

5- Tocitus, Thhe Histories, Trans. By Clifford Homer, Loeb Classical Library, London, 1956.

ثانياً: المراجع:

أ- العربية:

٦- أسد رستم: عصر أوغسطوس قيصر وخلفائه ٤٤ق.م- ٦٩م، ط٢، المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٩١م.

٧- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، بيروت، ١٩٦٨م.

٨- زكي شنودة: اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعاتهم من واقع نصوص التوراة وكتابهم المقدس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

٩- ـــــ: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحيين، مكتبة المحبة، القاهرة، (د.ت).

١٠- طوني مفرج: موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق، ط٢، المجلد (٢)، نوبيليس، بيروت، ٢٠٠٣م.

١١- عبد الحميد زائد: القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٢- عيسى الحسن: موسوعة الحضارات، ط١، الأهلية، عَمان، الأردن، ٢٠٠٨م.

١٣- فراس السواح: تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ، ط٣، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٣م.

١٤- ـــــ: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، نظرية كمال الصليبي في ميزان الحقائق التاريخية والآثارية، (د.ن)، (د.ت).

١٥- قاسم الشواف: فلسطين التاريخ القديم الحقيقي منذ ما قبل التاريخ حتى الخلافة العباسية، ط١، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٦- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٨) إسرائيل- الكتاب الثاني- التاريخ، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٧- ـــــ: دراسات في تاريخ العرب القديم، الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٨- مصطفى كمال عبد العليم، سيد فراج راشد: اليهود في العالم القديم، دار القلم: دمشق، الدار الشامية: بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٩- يهود الحشمونية في العالم الهللنيستي، مركز زلمان شزر، القدس.

ب- المترجمة:

٢٠- جلين وارين بورسوك: الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة: آمال محمد الروبي، مراجعة: محمد إبراهيم بكر، المشروع القومي للترجمة (١٠٦٣)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢١- جون. ب. نوس: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، ترجمة: عبد الرازق العلي، تحرير: فراس السواح، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٩م.

٢٢- فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، بيروت، ١٩٥٨م.

٢٣- كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز، ط٨، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.

ج- الأجنبية:

24- Altheim, F. and Stiehl, R., Die Araberin der Alten Welt, Berlin, 1964-1968.

25- Arvid. S.K., Israel from the Earliest Times to the Brith of Christ, Oxford, 1966.

26- Jones, A.H.M., The Herods of Judaea, Oxford of the Clarendon Press, 1967.

27- Peter, R., Herod King of the Jews and Friend of the Romans, Fortress Press, 1999.

28- William, D.M., The Jews under Roman Rule, New York, Bibiobazaar, 1895.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

٢٩- فتحية بنت حسين إبراهيم عقاب: "العلاقات السياسية بين الأنباط واليهود في فلسطين وموقف الدولة الرومانية منها"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية البنات (الأقسام الأدبية) بجدة، الإدارة العامة لكليات البنات بمنطقة جدة، وكالة الرئاسة لكليات البنات، الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٠- ميرنا حسين مصطفى مصطفى: "النقود الهيرودية- دراسة نقدية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، الجامعة الأردنية، آب٢٠٠١م.

رابعاً: الدوريات، والمؤتمرات، والنشر:

٣١- أحمد محمود صابون: "القدس- أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية"، التاريخ العربي، العدد السابع عشر، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، شتاء: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٧- ص٤٠.

٣٢- زئيف سفراني: "تاريخ إسرائيل منذ تمرد الحشمونيين حتى تمرد بروكوخيا"، تاريخ إسرائيل في فترة المعبد الثاني، أوريل، رفقورط، سفاريم علي حاي، تل أبيب، ١٩٨٤م، ص٢٥١- ص٢٧٤.

٣٣- سيد أحمد علي الناصري: "المصادر الأثرية والأدبية لأورشليم القديمة منذ تأسيسها حتى طرد الرومان لليهود منها عام ١٣٥م"، مؤتمر مصادر تاريخ القدس المنعقدة في الفترة ٢١-١٩٩٨/٣/٢٣م، إشراف وتقديم: حامد زيان غانم، عطية أحمد القوصي، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٤- كلاوزنر: "أوائل القادة الحشمونيين"، تاريخ شعب إسرائيل في الفترة الهللنيستية، إسرائيل: عم عوبيد المحدودة، ١٩٩١م، ص١٢٦- ص١٤١.